مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 16 العدد 2 (السداسي الأول 2024م)، ص. 243- 272

ممارسة الموريسكيين لشعائرهم الدينية في ظل أنواع الاضطهاد الاسباني (1492-1906م)

The practice of the Moriscos of their religious rituals in the face of the various types of Spanish persecution during 1492 to 1906

زديرة نوال[*1]، د. منير سعدي.[2]

[1] جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية

n.zedira@univ-alger.dz

[2] أ.د منير سعدي، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها

m.saadi@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 2024/03/18 تاريخ القبول: 2024/04/17 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أحوال الموريسكيين الدينية في ظل الاضطهاد والتعذيب الكاثوليكي بحيث جعلت القوة النصرانية من التاريخ الأندلسي مجرد ذكرى لا تنسى، فكانت مأساة المسلمين هناك من أفضع مآسي التاريخ . كما سيركز البحث على كيفية تمسك تلك الأقلية الدينية بشعائرها الإسلامية وبعقيدتها وثقافتها التي طالما حافظت عليها منذ سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م، وحتى طردها النهائي سنة 1020هـ/1609م، محاولين تقييم المسار التاريخي لتلك الأقلية الدينية في أبعاده الدينية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الموريسكيون، الحياة الدينية، السلطات الإسبانية.

[*] المؤلف المرسل

Abstract:

This research aims to reveal the religious conditions of the Moriscos under Catholic persecution and torture, so that the Christian power made the Andalusian history just an unforgettable memory, so the tragedy of the Muslims there was one of the worst tragedies in history. As long as they preserved it since the fall of Granada in the year 897 AH / 1492 AD until the hour of final expulsion in the year 1020 AH / 1609 AD, trying to evaluate the historical path of those in its religious and social dimensions.

Keywords :Moriscos, religious life, Spanish authorities.

مقدمة:

تعتبر قضية الموريسكيين من القضايا التاريخية المهمة والمؤلمة في التاريخ الحديث، كما أنها من القضايا التي لا تنسى- ولا يجب أن تنسى_ من الذاكرة العربية والإسلامية، فهذه المأساة حدثت على مرأى ومسمع العالم الذي كان يشهد عصر النهضة الأوروبية، ومع ذلك لم يحرك ساكنا ضد التعصب الديني والعنصري، وعلى الرغم من عمق القضية فإن المؤرخين لم يهتموا بمرحلة ما بعد السقوط بالصورة المطلوبة، ولم يناقشوا بالتفصيل حياة الموريسكيين الدينية، باستثناء بعض الجهود التي بدأت تظهر في السنوات الأخيرة، مثل دراسة المؤرخ الإسباني بدرولونغاس Pedro Longas حول " الحياة الدينية للموريسكيين" في القرن العشرين التي راجعها المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي وترجمها جمال عبد الرحمان، وهي عبارة عن دراسة لبعض المخطوطات الألخمادية التي تتناول الشعائر الإسلامية للموريسكيين وحياتهم الدينية، ولقد أجاد في تفصيل ذلك لكنه لم يتطرق لحالات التنصير القسرية للمسلمين الاسبان إلا في مقدمته، بالإضافة إلى دراسة لوي كارديلك Cardillac حول "الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون"، والكاتبة مرثيديس غارثيا أرينال m. Garcia Arinal . وعلى كل فيما يخص بحثنا حصلنا على مجموعة من الوثائق والمصادر دعمت هذا البحث، والى ركزنا فيه على كيفية ممارسة الموريسكيين لشعائرهم الدينية في ظل الاضطهادات الإسبانية واتباعهم أسلوب التقية للحفاظ على دينهم، وحددنا الإطار الزماني للموضوع بين 1492-1610م أي من تاريخ السقوط إلى صدور قرار الطرد النهائي للمسلمين من اسبانيا.

وبما أن كل بحث يحاول من خلاله الباحث التأسيس لفكرة ما ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها فقد كان لابد له أن ينطلق من إشكالية تكون الأساس للبحث، بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا على إشكالية عامة تمثلت فيما يلي: هل حد الاضطهاد المسيحي كثيرا من ممارسة الموريسكيين لشعائرهم الدينية في السر؟ وعليه نطرح بعض الفرضيات:

كيف كان حال الموريسكيين زمانا ومكانا وهم يتعبدون الله خفية؟، وهل استطاعوا تحقيق الهدف الذي من أجله مارسوا الكتمان واتبعوا أسلوب التقية؟، وإذا سلمنا أن الموريسكيين اضطروا إلى اتباع هذا الأسلوب هل كان هذا الاضطرار لغرض ديني ألا وهو الحفاظ على دينهم وشعائرهم الإسلامية، أم كان لغرض دنيوي وذلك خوفا من التعذيب؟.

سيكون هذا البحث وسيلة علمية للإجابة عن هذه الإشكالية وعن الفرضيات المطروحة، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل وتفسير الأحداث الماضية، مستنبطين مجموعة من النتائج المحللة.

من هم الموريسكيون؟ وكيف ألصقت هذه التسمية بمسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة؟ وصارت مصطلحا عند جل المؤرخين المهتمين بتاريخ المسلمين الأندلسيين؟.

اختلف المؤرخون[1] في تحديد معنى مصطلح الموريسكيون، وعليه فقد تعددت المفاهيم، وإن كان اتفاقهم على المعنى العام للكلمة.

يرى الدكتور حسين مؤنس أن أصل كلمة موريسكيين يعود إلى العهد الروماني، "فمورو" مشتقة من "ماوري" Mauri وتعني الداخلين تحت سلطان مسيحي، ثم تطورت كلمة ماورى إلى مورو الإسبانية وأصبحت تعني عربي أو مسلم، ومعلل ذلك بإضافة كلمة "Vasallos" لمورو "Vasallos Moros" ومعناها العرب التابعون[2].

في حين تعرف الكاتبة مرثيديسغارثياأرينال الموريسكيون بأنهم أولئك المسلمين الذين عاشوا في اسبانيا بعد استرداد شبه الجزيرة بالكامل عام 1492م، والذين أجبروا على اعتناق المسيحية، وتقول بأن الوثائق الخاصة بالنصف الأول من القرن السادس عشر تطلق عليهم صفة " المنتصرين الجدد ذوي الأصل المسلم"، وقد اختفت الأقلية الموريسكية من اسبانيا مع عملية الطرد بين عامي 1609-1614م[3].

ويفرق الدكتور جمال عبد الكريم في كتابه " الموريسكيون تاريخهم وأدبهم" بين مصطلح الموريسكي "Morisco" ومصطلح المدجن"Mudéjar"، فهذا الأخير حسب تعبيره يطلق على المسلمين الذين عاشوا تحت حكم المسيحيين الذين استردوا الكثيرا من الأراضي الأندلسية. وقد شاع استخدام هذا اللفظ بالأندلس منذ أوائل القرن الثالث عشر ميلادي، وكان تسامح المسيحيين مع الموريسكيين أمر معترف به في أول الأمر، حيث كانوا يتمتعون بكل حقوقهم الشرعية المدنية والدينية، وذلك ليخففوا عنهم وطأة إذلالهم وهزيمتهم، ولكن

[1] حمادي عبد الله، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616)، الجزائر، 1989م، ص 50، عنان عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، القاهرة، 1949م، ص231 .

[2] حسين مؤنس، " أسنى المتاجر فيمن غلب عن دينه من النصارى ولم يهاجر" مقال حول فتوى الونشريسي، صحيفة بمعهد الدراسات الإسلامية، العدد 1 و2، مدريد، ص 139، نقلا عن جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأسآة الأندلسيين، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص 43.

[3] مرثيديس غارثيا أرينال، الموريسكيون الأندلسيون، ترجمة وتقديم: جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003م، ص27.

تبدل الحال بعد اتساع عمليات الإسترداد المسيحية في أراضي الأندلس وزيادة عدد المدجنين، هذا فى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة تحقد عليهم وتبغضهم، ولهذا نادت بالانتقام منهم وحرضت ملوك الكاثوليك على مطاردتهم وهذا في سنة 1298م[4]. أما كلمة موريسكي " المسيحي الجديد"، أي المدجن الذي تنصر عنوة دون رغبة ودخل الديانة المسيحية، فلم يستخدم هذا المصطلح إلا بعد سنة 1500م، خصوصا بعد دخول المدجنين الدين المسيحي وخضوعهم ومعيشتهم تحت حكم المسيحيين، ولذلك سموا فيما بعد بالموريسكيين بدلا من المدجنين[5].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن تسمية الموريسكي ابتدعتها العقلية الإسبانية الصليبية المتعصبة مع بداية القرن 15م، إثر سقوط غرناطة سنة 1492م، لوصف الطائفة الخبيثة والبذرة العفنة[6]–على حد تعبير بعض تقارير محاكم التفتيش_ من المسلمين، وأغلبهم من أحفاد العرب والأمازيغ الفاتحين ممن بقوا في الأندلس، وفرض عليهم التنصير الإجباري.

ومن خلال المعنى العام لكلمة الموريسكيين نرى أن هدف السلطات النصرانية الإسبانية من إطلاق هذه التسمية على المسلمين في غرناطة، ثم باقي المقاطعات بعد سقوطها، هو محاولة لاجتثاث شوكة المسلمين نهائيا من اسبانيا بتخصيص الأقلية الإسلامية دون غيرها بهذه التسمية[7].

لكن القضية هنا ليست في التسمية فقط، وإنما في المحنة التي عاشتها تلك الأقلية الغريبة، ففريق منهم بقوا بأرضهم أزيد من قرن تحت الإرهاب والإبادة التي ابتدأت بمرسوم الملك فرناندو الملكي الصادر سنة 1502م القاضي بتعميدهم وتنصيرهم كرها، في المقابل اختار فريق آخر الهجرة إلى البلاد الإسلامية الأخرى هربا بدينهم، ولم ينج الفريق الأول – ممن فرض عليه تغيير اسمه ودينه- من صنوف القهر والإذلال والسجن والتعذيب لأتفه تهمة تشير إلى عدم إخلاصه في ولائه للدين الجديد، مما سنعرضه في هذا المقال.

---

[4] جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د ت، ص 6.

[5] نفسه، ص 7.

[6] أنظر: سعيد عبيد، " محنة الموريسكيين: ألم التاريخ وأمل المستقبل"، مجلة مدن وثقافات، ص 365.

[7] أنظر قاموس التاريخ الإسباني الذي يحدد معنى كلمة موريسكيين: بمسيحي إسبانيا المنصرين بالقوة بداية من القرن 16 Diccionario de historia de Espana. Madrid.1970. p1130.

تنصير المسلمين:

اتبع نصارى إسبانيا سياسة التنصير السلمية تجاه الموريسكوس ، لكن بعض الحكام لم ينتظر نتيجة التنصير الذي كان يطبق، بل استعمل العنف والإرهاب للقضاء على الموريسكيين، ونذكر في هذا السياق ما قام به الكاردنال ثسنيروس الذي ارتكب أفظع الجرائم، ففي ناحية جبال البشرات[8] قام أحد معاوني هذا الكاردينال، والذى يدعى الكوندي دي ليريا بهدم إحدى المساجد على من بداخله، وقام بذبح الرجال وبيع النساء والأطفال والرقيق[9].

ويؤكد مارمول أن الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا كان لديهما أمل في أن المسلمين، بتعايشهم مع المسيحيين في ظل الوضع الجديد، سينتهي بهم الأمر فى النهاية إلى الدخول طواعية في الدين الحقيقي[10]، إلا أن هذا التأكيد يتناقض مع تعليمات الملكين الكاثوليكيين الموجهة إلى روى دياث دي ميندوثا المكلف بإبلاغها إلى أسقف طليطلة وإلى كونت تينديا tendilla في أعقاب ثورة البيازين في غرناطة (1499. 1500م)، وتكشف هذه التعليمات أن الملكين كان يعلقان أملا كبيرا على التنصير وعن تسامحهما مع المسلمين الذين عارضوا التنصير، إلا أن التعليمات تكشف أيضا عن عزمهما تجنب التعايش مع المسلمين والمتنصرين دفعا لخطر العدوى[11].

من هنا بدأت سياسة التسامح تجاه المسلمين في المدن الإسبانية بالتراجع، وتراجع الملكان الكاثوليكيان فرناندو وايزابيلا عن العهود التي قطعت للمسلين في غرناطة والمتمثلة

---

[8] البشرات: كلمة محرفة من كلمة Sierras اللاتينية، وتعني الجبال الوعرة، تقع في الجنوب الأندلسي، ومنها مدينة البشرات التي هاجر إليها الموريسكيون بعد سقوط مدنهم في قبضة مملكتي قشتالة وأراغون(أنظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 2009م، ص131، يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1940م، 10-11).

[9] محمد قشتيليو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، منتديات أهل الحديث في تطوان، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1422ه/2001م، ص 5.

[10] مارمول كرابخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة: وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمان، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ص 27.

[11] أنظر: نص الوثيقة التي أشير إليها الملك والملكة في كتاب بدرولونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، تعريب د جمال عبد الرحمان، تقديم ومراجعة: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، سيرمدي، زغوان، ج التونسية، جويلية 1993م، ص 38.37.

في حماية الأنفس والأموال والعقيدة[12]، وأخذت السياسة الإسبانية تكشف عن وجهها الحقيقي والمتعصب تجاه أي شيء له صلة بالإسلام، ثم بدأت المؤامرة بأن أقدم الاسبان على إحراق مليون وخمسمائة ألف كتابا دينيا، بما فيها الوثائق والمخطوطات التي تتعلق بالدين الإسلامي، الأمر الذي يسهل عليهم إبعاد المسلمين عن مصادر عقيدتهم الإسلامية، ثم القضاء عليهم بالسرعة الممكنة[13].

وقد عرفت عملية تنصير المسلمين ثلاثة مراحل بعد سقوط الأندلس، تمثلت المرحلة الأولى في التنصير القسري لسكان غرناطة أواخر عام 1499م، حيث قدم تيسنيروس لغرناطة خطة للتنصير، وبدأ بإجبار المسلمين على اعتناق النصرانية بالعنف والقوة، وأحرق كتبا كثيرة في الميادين العامة على مرأى ومسمع الجميع، مما جعل النصارى أنفسهم ينتقدون هذا الموقف، فقام بإحراق كتبا كانت مزخرفة بالذهب والفضة، مثل مؤلفات الجفر (Aljafair)، والقضاء أيضا على المتضلعين في أمور الدين، وقد وصفهم المؤرخ الإسباني كاردونا " يمثلون السم والحشرات الطفيلية والنبتة السيئة في حقل كنيسة إسبانيا، أو أنهم الذئاب المخربة والثعابين والعقارب والحيوانات البشعة السامة"[14].

تلتها حملات قمع شرسة وصلت حد استرقاق سكان بعض المناطق وتخيير آخرين بين اعتناق المسيحية أو الطرد[15]، لكن الشعور الموريسكي رفض وبشدة مثل هذا الاحتواء المكره الذي كان في فحواه الأصلي بمثابة الابتلاع والإبادة، وهذا ما جعل الأقليات المضطهدة تصل إلى متاهات، جعلت الأسقف "فرنشيسكا" ينتعهم وهم أمام هذه الاختيارات الصعبة، بمقولة بها أكثر من مدلول صريح "...لقد بلغ المساكين درجة من الحيرة جعلتهم لا يعرفون أيكونون مسلمين أم مسيحيين..."[16]

---

[12] مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص44.

[13] حتاملة محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليين، الأردن، د ت، ص 60.

[14] لوي كارياك، الموريسكيون الأندلسيون، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 100.

[15] العروسي الميزوري،" مراحل التنصير والقمع التفتيشي في الطفل الموريسكي و أزمة الهوية"، أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية. العائلة الموريسكية النساء والأطفال. عبد الجليل التميمي، 2002م، ص5655.

[16] عبد الله حمادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش حتى الأندلس (1492161م). ص 24.

وفي هذا السياق، قال المقري في كتابه: نفح الطيب، واصفا حال الموريسكيون: " ...ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، لحملهم المسلمين على التنصير، سنة أربع وتسعمائة، بعدة أمور أعظمها وأقواها عليهم، أنهم قالوا: إن القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يعودوا قهرا للكفر، ففعلوا ذلك، ونكلهم الناس، ولا جهد لهم ولا قوة، ثم تعدوا إلى أمر آخر، وهو أن يقولوا للرجل المسلم، إن جدك كان نصراني فأسلم ترجع نصرانيا، ولما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين[17] على الحكام وقتلوهم، وكان هذا سبب التنصير..."[18].

كذلك وصف حالهم صاحب " أخبار العصر" حيث يقول: "...ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصير وأكرههم عليه وذلك في سنة أربع وتسعمائة، فدخلوا في دينهم كرها وصارت الأندلس كلها نصرانية، ولم يبق فيها من يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلا من يقولها في قلبه وفي خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الآذان، وفي مساجدها الصور والصلبان، بعد ذلك وتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية، وقلب حزين، وكم فيها الضعفاء والمعذورين، لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل نارا، ودموعهم تسيل سيلا غزيرا، وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون على منعهم ولا على زجرهم، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب، فيالها من فجيعة ما أمرها، ومصيبة ما أعظمها وطامة ما أكبرها..."[19].

من خلال هذه الأقوال نجد أن قضية التنصير القسري كانت من أقصى القضايا الشائكة التي تبرز غدر النصارى بالمسلمين، وإساءة معاملتهم وانتهاك حرماتهم، وحظر كل مالهم من حقوق في معاهدة التسليم، وذلك بهدف إدماج الأقلية الموريسكية بالأكثرية النصرانية، ومحاولة نشر الثقافة المسيحية بالقوة وهذا شيء ضد الأعراف الإنسانية.

[17] البيازين: أحد أشهر الأحياء في غرناطة، كان مركزا للثورة والثائرين، وعرف انتفاضة عارمة سنة 1499م، أنظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2004، 157.

[18] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ترجمة: عباس راجان، دار صادر، بيروت، 1968م، ص 97.

[19] مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص 49.

وقد أصدر الأسقف تالافير تعليمات إلى رجال الدين المسيحيين في غرناطة بضرورة دراسة الشريعة الإسلامية من أجل التحاور مع الفقهاء المسلمين ومجادلتهم بغية إقناعهم بالعودة إلى الديانة المسيحية، وما سيترتب على ذلك من أثر كبير في تحول بسطاء الناس إلى الديانة المسيحية، لاسيما إذ ما علمنا أن المسلمين في غرناطة كانوا يأخذون التعليمات من الفقهاء، إلا أن هذه السياسة جاءت بآثار عكسية، إذ دخل الكثير من رجال الدين المسيحيين الديانة الإسلامية[20].

وهذا ما يؤكده مارمول ثيسنيروس من أنه كان في غرناطة، عام 1499م وكان معه أحد الأساقفة يحاولان تنصير المسلمين، وفى هذا السياق كانا يتحدثان مع الفقهاء ويقدمان لهم الهدايا، وقد استطاعا أن ينصرا ثلاثة آلاف شخص في يوم واحد، من بينهم Azaator من قبيلة Zegri وهو أحد زعماء المسلمين في حي البيازين، واستغل ثيسنيروس تلك الظروف لكي يجمع عددا كبيرا من الكتب العربية أرسلها إلى جامعة القلعة Alcaala، كان على صواب حين رأى تلك الأعمال الأدبية تزيد من تمسك الموريسكيين بشعائر الإسلام[21].

ولكن عملية التنصير كانت تسير سيرا بطيئا للغاية، ولم يكن ممكنا أن تتم في وقت قصير، وهو أمر لم يصر عليه من كانوا ينتظرون نتائج عاجلة، وبينما كان آلاف المسلمين يتحولون إلى المسيحية كان المسلمون عموما يرفضون الوسائل المتبعة معهم، وكانوا يرفعون شكواهم إلى السلطان المملوكى فى مصر يخبرونه بأن الاسبان يريدون تنصيرهم بالقوة، وهو أمر يخالف إتفاقية تسليم غرناطة، وقد هدد السلطان بأن يحول كل رعاياه المسيحيين إلى الإسلام، الأمر الذى دفع الملكيين الكاثوليكيين أن يخيرا المسلمين بين التحول إلى المسيحية أو الرحيل إلى بلاد البربر[22].

وقد تعرض المسلمون في غرناطة إلى تضييق كبير من قبل الملكة إيزابيلا، التي وصفت بالتشدد الديني، ولكن هذا التضييق لم يأت بنتائج إيجابية، وبقي المسلمين في غرناطة متمسكين بعقيدتهم الإسلامية، حيث أصدرت الملكة جملة من القرارات منحت بموجبها امتيازات كبيرة للمسلمين في حالة دخولهم للدين المسيحي، بالمقابل حرمت هذه القرارات

[20] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492-1792)، ط2، بيروت، 1979، ص23-24.

[21] بدرولونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين، الأندلسيين، المصدر السابق، ص 38، نقلا عن مارمول كارابخال، ص-ص 28-44.

[22] المصدر نفسه، ص 39.

المسلمين من كثير من الامتيازات التي كفلتها لهم معاهدة تسليم غرناطة، الأمر الذي دفع الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإيزابيلا إلى الدعوة إلى تنصير المسلمين في عموم اسبانيا، وكان ذلك سنة 904هـ/1498م[23].

وعلى كل تولى خمنيس، مطران طليطلة ورأس الكنيسة الاسبانية، مهمة تنصير مسلمي الأندلس، وكان من أشد أهل الأرض عداوة للإسلام والمسلمين، فأنشأ هذا الرجل ما يسمى بديوان التحقيق وهو ما عرف ب " محاكم التفتيش" وذلك سنة 905هـ، والتي عان منها المسلمون أشد المعاناة، بسبب حرق كتب العلم، والفقه، والحديث كأول خطوة لتنصير المسلمين وقطع صلتهم عن التراث العربي الإسلامي، وعن علومهم الشرعية[24].

ومهما يكن من امر فقد ظل الموريسكيون موضع ريب وشك من جانب الكاردينال خمنيس وديوان التحقيق، فعمل هذا الطاغية على الزج بآلاف الموريسكيين إلى محاكم التفتيش حيث آلات التعذيب والتنكيل التي تقشعر لها الأبدان[25]، وكانت أدنى إشارة أو علامة تصدر من الموريسكيين يظهر من خلالها حنينهم إلى الإسلام أو اللغة العربية يتم تعذيبهم وحرقهم وهم أحياء.

اندفعت اسبانيا في محاولة لتصفية المسلمين فارضة أقصى الإجراءات عليهم لتنصيرهم بالجملة خلال عشر سنين، وقد اعترف ملوك الاسبان خلال القرن السادس عشر بحتمية الاستمرار في تطبيق ديوان التفتيش، وبذلك خيرت الأقلية الإسلامية الأندلسية، التي عرفت شتى ظروف التتبع والملاحقة، عن طريق ديوان التحقيق، بالتحول للنصرانية، أو الرق مدى الحياة. وليس هذا فقط بل صودرت أملاكهم وحرم عليهم التكلم بالعربية، وارتداء الألبسة الوطنية، والتردد إلى الحمامات، وفتح أبواب منازلهم أيام الحفلات والجمعة والسبت[26]، وإقامة الشعائر الدينية، والتسمية بأسماء عربية، كما حولت جميع المساجد إلى كنائس[27]، ومن الإجراءات أيضا المتبعة لتنصيرهم نذكر:

---

[23] مؤلف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص 44.

[24] محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس، ط1، الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص 72.

[25] علي مظهر، محاكم التفتيش الإسبانية(1489م .1516)، د ط، د ت، ص 81.80.

[26] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة، ص 355.354.

[27] المصدر نفسه، ص 351.

_منعهم كذلك من بيع الذهب والفضة والجواهر والحرير والدواب والأغنام وأية سلع أخرى.
_أن يتم وضع هلال أزرق على قبعاتهم، وأن يكون الهلال في حجم نصف البرتقالة.
_منع الموريسكيين من العمل في أيام الأعياد التي تحددها الكنيسة.
_على الموريسكيين أن يخلعوا غطاء الرأس وأن ينحنوا عند مرور القساوسة ,أو عندما يدق جرس الكنيسة.
_ألا تصدر عنهم إشارات بهدف الاجتماع للصلاة[28].

وفي المقابل فقد رفض الموريسكيون قوانين التنصير أولا ومحاكم التفتيش ثانيا، التي كانت تطلق عليهم أسماء منها " المرتدين، والفكرة" ،وأحيانا " الضالين "، وعدوا ذلك خرقا لمعاهدة تسليم غرناطة التي وقعت بين الطرفين، ولم يكتفوا بالرفض بل قاموا بثورات وانتفاضات في أغلب المدن التي بها أقلية إسلامية، خاصة غرناطة وبلنسية، وفي نفس العام الذي طرح فيه موضوع التنصير واستمرت الثورات لمدة عامين دفع فيها المسلمون الكثير من الضحايا، كما تكبد فيها الإسبان الكثير من الخسائر، إلا أن عدم التكافؤ بين الطرفين أدى إخماد هذه الثورات سنة 1502م[29].وعلى كل، كان عام 1502م عاما فاصلا في معاملات الإسبان إلى الموريسكيين، فيما يخص تحويلهم إلى المسيحية عنوة، وهذا ما سوف نراه، وما أثبتته الوثائق التاريخية في هذا الصدد.

تقول الرواية التاريخية إن الإسبان بعد عام 1502م، أصبحوا في موقع القوة، لذلك صدرت الملكة إيزابيلا في سنة 908هـ/1502م مرسوما يحتم على جميع المسلمين اعتناق المسيحية أو ترك البلاد، فثار المسلمون إزاء شعورهم بعدم الأمان والاطمئنان والثقة في هذه السلطات العنصرية، ونقض وعودهم وشروطهم وواجهوا عنف وبطش الاسبان بهم، ولم يخشوا التنكيل والتهديدات والإنذارات المتكررة وضحوا بحياتهم وبأعز ما يملكون مفضلين الاستشهاد والموت على الحياة الذليلة[30].

[28] بدرولونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، المصدر السابق، ص 39.
[29] مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص 45.
[30] جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص 23.

على الجانب الآخر، عاش الموريسكيون المهزومون في أماكن وأحياء مستقلة خاصة بهم منعزلين، ولم يكن استسلامهم حقيقيا، وظلوا يمارسون عاداتهم وعقائدهم وكونوا جماعات مستقلة، ولم يعترفوا أبدا بولائهم وإخلاصهم للمسيحية، ولم يعتبروا أنفسهم على الإطلاق " مسيحيين"[31]. ويرى "جان القلي" أنه من أسباب فشل تنصير المسلمين في عهد لملكشارل الخامس هو عدم إقناع رجال الدين للموريسكيين في اعتناق النصرانية، وعدم قدرتهم على تغيير عقلية الموريسكيين وتحويلهم عن عقيدتهم الإسلامية الراسخة[32].

ويذكر "ديوارنت"[33] أن أحد المؤرخين الإسبان المعاصرين لمرسوم التنصير وصفه بأنه أكبر حدث همجي في التاريخ، في حين وصفه أحد أقطاب الكنيسة بأنه من الأحداث التاريخية المهمة في حياة الشعب الإسباني، ولكن لماذا؟ وذلك لأنه كفل للبلاد، وفقا لرؤية الكنيسة، وحدة دينية شاملة، إلا أن هذه الوحدة كانت تمثل وحدة وهمية إذ استمر المسلمون بممارسة شعائرهم الإسلامية بشكل سري حتى آخر يوم لهم في اسبانيا[34].

ولكن عندما أدرك الموريسكيون خطورة القرارات المتخذة ضدهم والأعمال التعسفية، فقد قاوموا محاكم التفتيش، وحمل كثير من موريسكي فالنسيا السلاح، لكن قبل ذلك تقدموا بطلب إلى الملك كارلوس الأول يتضمن مايلي:

_ ألا تتعرض محاكم التفتيش لممتلكاتهم ولا لأرواحهم خلال أربعين عاما، لا يجبرون فيها على التخلي عن زيهم ولا لغتهم.

_أن يكون للمسيحيين الجدد مقابر خاصة بهم بين مقابر المسيحيين.

_أن يسمح بتزاوج الموريسكيين والمورسكيات من الأقارب حتى الدرجة الثانية خلال فترة أربعين عاما.

---

[31] جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، ، ص 27.

[32] د.جان مونيك القلي،" تنصير الموريسكيين أو أسباب الفشل"، تعريب عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول" مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، زغوان، سيرمدي، 1990، ص 30.29.

[33] قصة الحضارة، مج6، ج2، ص 97.

[34] هارفي ليونارد باتريك، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ج1، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 330.326.

_أن يمنح الذين كانوا فقهاء الأراضي والأمتعة التي جمعها الموريسكيون كصدقة وإن تخصص بقية الأراضي لبناء كنائس جديدة.

_أن يسمح للموريسكيين بحمل السلاح[35].

لكن الإمبراطور الإسباني لم يوافق على طلبات المورسكيين، ربما لأنه كان مقتنعا بأنه سوف يستعمل معهم سياسية الترغيب والتسامح لتحقيق أهدافه، لذلك اجتمع رجال الدين في إطار لجنة خاصة، وقضوا بأن الطريقة السابقة في تنصير الموريسكيين قسرا لم تعد مجدية، فلجأوا إلى أساليب أكثر دهاء وعنفا منها:

_ نقل محاكم التفتيش من بلدة جيان إلى غرناطة.

_ تغفر للموريسكيين كل الشرور والمغالطات المرتكبة حتى عام 1526م ضد الإيمان الكاثوليكي.

_إجبار الموريسكيين على استعمال اللغة الاسبانية ومنعهم من استخدام اللغة العربية سواء في الخطاب أو الكتابة.

_ حظر عليهم استعمال الحمامات.

_ أن يتخلوا عن استعمال أسماء إسلامية.

_ على كل موريسكي أن يبدل ملابسه حتى تصب متفقة مع ملابس الإسبان[36].

ويرى لوي كارياك في كتابه " الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون " أن المملكة الإسبانية زمن شارل الخامس قد انتهجت سياسة اللين والتسامح مع الموريسكيين من أجل إدماجهم في حظيرة المجتمع الإسباني المسيحي، ولكن الجماعة الموريسكية قاومت سياسة المسخ والإدماج، بالرغم من تلك الإجراءات الرامية إلى العفو والغفران، فقد ترجم رفض الموريسكيين المطلق لسياسة الاحتواء الإسبانية[37].

[35] بدرو لونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين، المصدر السابق، ص 40.

[36] وذلك بالتخلي عن الأزياء الموريسكية بترك لباس الملحفة والملاءة وارتداء أغطية وقبعات كما كان الحال في مملكة أراغون عندما منع الزي الموريسكي فيها: أنظر مارمول كرابخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج1، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

[37] لوي كارديك، المجابهة الجدلية (1640\1492م)، تقديم وتعريب عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس. الجزائر، 1983م، ط1، ص 50.

تمسك الموريسكيين بشعائرهم الدينية في ظل الإضهادات الإسبانية:

رغم السياسة التي طبقتها السلطات الإسبانية على الموريسكيين، وإصدار القوانين لدمجهم في المجتمع الإسباني واعتناقهم المسيحية، إلا أن الموريسكيين بقوا صامدين ضد هذه القوانين التعسفية، وعملوا كل ما بوسعهم للحفاظ على دينهم والارتباط بثقافة أجدادهم، فاتبعوا مبدأ ما يعرف " بالتقية " في العبادات، إذ أصبحوا يعبدون دينين في آن واحد، فهم يعبدون دين النصارى جهرا ودين المسلمين في سرية وخفاء[38]، وذلك لأنهم لم يجدوا أي وسيلة أخرى تسمح لهم بالعيش في سلام وسط التركيبة الاجتماعية لإسبانيا المسيحية حتى يضمنوا البقاء في ديارهم، على الأقل، خوفا من فقدانها إلى الأبد على غرار الذين طردوا إلى الخارج[39].

ويفيدنا المؤرخ التونسي الكبير عبد الجليل التميمي _ وهو من أبرز المشتغلين بالتاريخ الأندلسي، ولاسيما الحقبة الموريسكية منه، إلى وجود مخطوطتين موريسكيتين تابعتين لمعهد ميكال أسين بمدريد، إحداهما تحت رقم 29 والثانية تحت رقمM.S 54، تناولتا تمسك الموريسكيين بدينهم وهويتهم من خلال قراءتهم لأحاديث الرسول ﷺ.والمخطوطة الأولى فهي نسخ لكتاب " الأخبار في الحكم والأمثال والآداب " لابن عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القاضي القضاعي الشافعي المتوفي سنة 455هـ/1062م بمصر، ويضم 142 ورقة، أي 284 صفحة، أما المخطوط الثاني فهو تحت رقم 54M.s ، ويضم ثلاثة أقسام، والذي يهمنا منه القسم الثاني، الذي يبدأ من الورقة 11 إلى 44، ويضم 66 صفحة، وعنوان القسم " كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم"، لمؤلفه الفقيه الإمام أبي العباس محمد بن معز ابن عيسى التجيبي الأندلسي المعروف بابن الإقليشي المالكي المتوفي سنة 550هـ/ 1151م[40]، ويؤكد التميمي على أهمية المخطوطة الأولى[41]، لاسيما وأن محاكم دواوين التفتيش قد وضعت يدها على هذه المخطوطة حوالي سنة 1591م، وهو أمر في غاية الأهمية، ولكن لماذا؟ وذلك لأنه سيسمح لنا بإلقاء الضوء على طبيعة ما ينسخه

[38] جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492.1610م)، المرجع السابق، ص 181.

[39]Dominguezortiz: Los CristianosNuevosBoletin de la universided de grenada 1949/vol:11)

[40] نقلا عن عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ الموريسكي الأندلسي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1993م، ص 67.

[41] المرجع السابق، ص 69.

الموريسكيون وما يقرؤونه، وبالتالي سيكون هذا دليل على مستواهم اللغوي، وكذلك مدى تعلقهم بأحاديث الرسول ﷺ. خاصة وأننا نعلم أنه في غضون ذلك. القرن السادس عشر. قد حرم عليهم كل شيء له ارتباط بالإسلام، ولكن في مقابل استنطاقهم لدى محاكم دواوين التفتيش تحلوا بالشجاعة النفسية والروحية وقاوموا وضحوا بأعز ما يملكون للدفاع عن دينهم وهويتهم وحضارتهم و" هذا ما كان يعد رمزا ثابتا لصمودهم الفكري والحضاري الذي تميزوا به دون سواهم "[42].

أما المخطوطة الثانية من كتاب الشهاب، فإنها تتميز دون غيرها من كتب الحديث بأنها أجمع وأقدم من صنف فيه، لاحتوائها على أهم ما جاء عن الرسول ﷺ صحيحا ثابتا، فتلك الأحاديث كان لها مساس مباشر بوضعية الموريسكيين الأندلسيين السياسية، والدينية، والاجتماعية، بحيث أثرت بعمق على سلوك وعقيدة وتمسك الموريسكيين بدينهم وهويتهم العربية الإسلامية، وهذا بسبب أن تلك الأحاديث النبوية ترجمت عن تعاليم الإسلام وقدمت إطارا شاملا لما يجب أن يكون عليه المسلم، فضلا عن تعزيز ارتباطه بدينه ولغته وعرقه وحثه على الجهاد والتضحية والصبر والإيمان، ومن هذه الأحاديث التي تناولت حرص الموريسكيين على التحلي بالإيمان والصبر والدفاع عن المجموعات الموريسكية الأندلسية نجد مثلا: " من فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية"[43]، مثال آخر: " إذا أراد الله خيرا بقوم ابتلاهم "[44].

إن هذه الأحاديث التي نقلها الموريسكيون إلى اللغة القشتالية كانت سببا في تعمق معرفتهم بالإسلام وتعلقهم بعقيدتهم، مما يفسر مدى عمق الجذور التاريخية التي مازالت تكيف مواقفهم وآرائهم وسلوكهم، وبالتالي "تبرز هذا الانتماء الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية"[45]، مما أدى إلى إصدار القرار الخطير الذي تبنته اسبانيا بطرد الموريسكيين نهائيا من الأندلس، لاسيما عندما عجزت عن دمجهم في المجتمع الإسباني، رغم الجهود المضنية التي قاموا بها في هذا السبيل.

---

[42] رسالة د. لوي كردياك، " الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون" ، المجابهة الجدلية (1492 . 1640)، نقله إلى العربية عبد الجليل التميمي، ط2، منشورات سيرمدي، زغوان، 1989م، ص 198.

[43] المخطوطة الأولى، رقم M.s 29، ص 14 ب، نقلا عن التميمي، ص 77.

[44] المصدر نفسه، رقم M.s54، ص 2 أ، نقلا عن التميمي، ص 78.

[45] التميمي، المرجع السابق، ص 79.

تقول الدكتورة شهرزاد مراد في رسالة لها بالفرنسية فيما يخص " تربية الموريسكيين الدينية من خلال الكتابات الألخمادية": " إن الهدف الأساسي لهذه الكتابات، والتي من بينها الأدب الألخميادو، هو، بالفعل، المحافظة على التعليم الديني للمجموعة الموريسكية، والذي ينص على تلقين التعاليم الإسلامية الخمسة ويشرح التفسير، حفظ الآيات القرآنية...إلى آخره"[46].

ومن محاور هذا الأدب –كما تذكر الكتابات الدينية- الأساطير، والقصص، والأدب الجدلي، والأحاديث والفقه، فهذه الكتابات كانت شعبية وتتناول جميع الطبقات، ثم أنه على مستوى القرآن، فإن الآيات المنسوخة كانت قصيرة وشرحها كان سهلا، أما القصص والأساطير فكانت تشكل نوعا من الأدب الشعبي وجزئا من التقاليد الشفهية، كما أن الفقه قد سمح لهم بتسيير شؤون حياتهم اليومية على جميع المستويات[47].

وبذلك يمكن القول إن هذا الإنتاج الأدبي يرجع الفضل فيه إلى الفقهاء الذين كانوا يتمتعون بمستوى ثقافي مشرف في اللغة العربية والإسبانية، فكانت وظيفهم تعني بنقل وترجمة الأدب الأم وتعميمه لدى المجموعة الموريسكية لغرض تعليمي وذلك خشية فقد الموريسكي كل عناصر هويته، وبهدف تمسكهم بدينهم وعاداتهم وأعراقهم، فبدونهم لم يكن بإمكان أحد تعلم مبادئ الدين ولا حفظ القرآن، حيث ظلوا يمارسون عدة مهن للتمويه، وكتنوا في الليل يستقبلون الموريسكيين لتعليمهم القرآن[48]، كما كانوا يستقبلون المبعوثين من شمال إفريقيا ومعهم الكتب الضرورية لنسخها وبيعها للموريسكيين، وبذلك لم تقتصر مهمتهم على التعليم فقط، كذلك تعدى دور الفقهاء، في بعض الأحيان، تعليم الموريسكيين تعاليم دينهم إلى دعوة المسيحيين إلى دخول الدين الإسلامي[49]، حتى وهم داخل السجن مثلما قام به الفقيه خير مينو دي روخاس Germino De Rojas سنة 1601م بسجن

[46] د. شهرزاد مراد، جامعة الجزائر، " تربية الموريسكيين الدينية من خلال الكتابات الألخمادية"، نقله عن الفرنسية د. عبد الجليل التميمي، من كتاب "مهن الموريسكيين والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1990م، ص 26.

[47] المرجع نفسه، ص 27.

[48] وهي التهمة التي عوقب عليها الكثير من الموريسكيين، مثل الفقيه أمادورسامبير فيلو AmadorSamperVelo سنة 1593م، حيث عوقب بتهمة تعليم القرآن للموريسكيين

[49] Jaquelinefournel:Les Moresque Aragnais et L'inquisition de sarrgosse (1540-1620) Montpellier.1980.p: 128.

طليطلة، إذ كان يجادل المسيحيين حول ضرورة إنقاذ أنفسهم بطاعة الله واتباع الدين الإسلامي[50].

أصبحت تعاليم الإسلام وممارسته لدى الطائفة الموريسكية تقاليد مورثة يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل في حلقات مغلقة لها صفة المجالس السرية[51].

وحافظ الجميع على هذه الممارسة حتى السنوات الأخيرة للتواجد الموريسكي في الأندلس، ولم تستطع الكنيسة باضطهاداتها أن تحملهم على الولاء لدين غير ذلك الذين قاسوا في سبيل اعتناقه ضروبا من الآلام[52].

وقد جسدت لنا الباحثة الدكتورة "رجاء ياسين بحري" بكلية الآداب بتونس في رسالة لها بعنوان " الممارسات الدينية للموريسكيين من خلال ملفات محاكم التحقيق لقضية فكتوريا فلومينا (1563.1567م) مثالا للمرأة التي على الرغم من ملاحقتها من طرف محاكم التفتيش وتهديدها بالتعذيب، فإنها لم تستسلم واستمرت تصارع، وكان لها الخيار بين التخلي نهائيا عن دينها واعتناق الدين المسيحي بإخلاص أو المحاكمة، إلا أنها اختارت الحل الثاني، وأحرقت حية في الساحة العمومية[53]، وهذا يدل على أن المرأة، أيضا، كانت رمزا للصمود والصبر والتمسك بدينها والحفاظ على تقاليد الإسلام وعاداته المغروسة في جبلتها، كما أن هذه الملفات شرحت الممارسات التي كان الموريسكيون شديدي التعلق بممارستها، والأسباب التي منعتهم من الاندماج في المجتمع المسيحي ورفضهم تغيير أنماط حياتهم وتركهم للباس التقليدي[54].

وقد تحدث المؤرخ "بدرو لونغاس" عن تمسك الموريسكيين من أبناء غرناطة، وفالنسيا، وأراغون بالدين الإسلامي رغم القرارات التي كانت تحد من حرية العبادة والتي أصدرها الملوك والأساقفة ورغم محاكم التفتيش لهم، فنجد مثلا فيما يخص موريسكيو

---

[50] جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، المرجع السابق، ص 185.

[51] Mercedes Garcia Arenal: Los Moriscos y la inquisition/ procesos del.tribunal de cuenca-Madrid.1970.p:25.

[52] عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، القاهرة، 1949م، ص 342.

[53] د. رجاء ياسين بحرى، " الممارسات الدينية للموريسكيين من خلال ملفات محاكم التحقيق لقضية فكتوريا فلومينا (1563 .1567)، نقله عن الفرنسية: عبد الجليل التميمي، مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، المرجع السابق، ص 28.

[54] أنظر: مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 28.27.

غرناطة بعد صدور قرار الطرد في 9 ديسمبر 1609م، أن السلطات الاسبانية قد أجرت تحقيقا تبين منه أن " موريسكيو غرناطة كانوا يمارسون عادة ختان أبنائهم بعد ولادتهم بقليل، وكانوا يحافظون على كل شعائر الدين الإسلامي، وخاصة صوم شهر رمضان... وكان لهم عيد آخر – عيد الأضحى – في أول أيام السنة الميلادية"[55] ...وكانوا لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، ... ويتحدثون اللغة العربية[56].

وهناك رواية أخرى لمؤرخ معاصر للأحداث يدعى بيرموديث دي بيدراثا تلقى مزيدا من الضوء على تمسك موريسكي غرناطة بممارسة الشعائر الدينية، حيث اعترف " بأن الموريسكيون كانوا مسيحيين في الظاهر ومسلمين فى الحقيقة، يهتمون بممارسة شعائر وأعياد طائفتهم أكثر من اهتمامهم بدين المسيح ربهم، رغم أنهم كانوا يلقون من ملوك إسبانيا معاملة أفضل من التي كانوا يلقونها من ملوكهم- كما يرى- حيث تخففوا من الأعباء والضرائب فأساؤوا فهم تلك المعاملة الحسنة، فاشتقوا إلى سابق عهدهم، إلى أغنامهم إلى صلاتهم ورقصهم... لا يراعون أعياد الكنيسة، وكانوا يحضرون خوفا من العقوبة، يحترمون يوم الجمعة أكثر من يوم الأحد، كانوا يقيمون شعائرهم ويطلقون على أبنائهم أسماء إسلامية، ويعترفون بخطاياهم وكانت اعترافاتهم وجيزة، ويعترفون اليوم بما اعترفوا به بالأمس..."[57]، وهذا دليل على أنهم كانوا شديدي التمسك بدينهم، حريصين على الالتزام بتعاليم الإسلام، لكن أصبح عليهم البحث عن أسلوب ناجح للتخلص من حرج التظاهر باعتناق الدين المسيحي الجديد فكان عليهم استلزام الحضور إلى "يوم القداس " تعبيرا عن قبول الدين النصراني واتقاء للعقوبات المنتظرة في حالة عدم الذهاب إلى الكنيسة، وفي هذه الحالة تصبح التقية خير وسيلة لإخفاء معتقد وإظهار عكسه، متبعين مبدأ الضرورات تبيح المحظورات.

أما بالنسبة لموريسكيو فالنسيا: فكانوا يواصلون إقامة الشعائر الإسلامية علنا رغم أن إقامة الشعائر كانت ممنوعة سرا وعلانية، لأنها تتعارض مع العقيدة المسيحية التي اعتنقوها حديثا ،فقد كانوا يجرون عمليات الختان لأبنائهم حديثي الولادة ويطلقون عليهم

[55] ليست بالضرورة توافق عيد الأضحى مع السنة الميلادية، قد تكون المخطوطة التي اعتمد عليها المؤلف كتبت في عام توافقت فيه هذه التواريخ.

[56] الحياة الدينية للموريسكيين الاندلسيين، المصدر السابق، ص 44.

[57] المصدر نفسه، ص 44.45.

أسماء إسلامية، ولا يتركون العمل في أيام العيد، وبصفة عامة يحتقرون الشعائر المسيحية- على حد تعبير بدرولونغاس_ وكانوا يعقدون مراسم الزواج طبقا لدينهم وعاداتهم ويدفنون الموتى طبقا لطقوسهم ويدعون المسيحيين القدماء إلى اعتناق الإسلام، وكانوا يذبحون الماشية وهي متجهة إلى القبلة وبصفة خاصة كانوا يقيمون الصلاة والوضوء وصيام شهر رمضان...[58].

يمكن أن نقول أن موريسكيو فالنسيا كانت لديهم قوة وجرأة كبيرة على موريسكيو غرناطة لأنهم كانوا يمارسون شعائرهم في العلن وبتأييد من السادة المسيحيين"[59]، الذين يتبعونهم كرعايا أو كمواطني مستعمرات.

أما موريسكيو أراغون: فقد عاشوا في قلق وخوف منذ أن علموا بأمر طرد موريسكي فالنسيا بحيث كانوا عرضة لكل أنواع السباب والتهديد، ومع ذلك فإنهم كانوا من أشد المعارضين لحركة التنصير، ومن أشد الناس تمسكا بممارسة شعائر الديانة المحمدية. وهناك وثائق تقدم دليلا واضحا على تمسك موريسكي أراغون بممارسة شعائر الإسلام خلال القرن السادس عشر وحتى لحظة طردهم عام 1609م ذكرها المؤلف "بدرولونغاس"[60].

وعليه فإن هؤلاء أيضا شاعت بينهم ممارسة شعائر الإسلام علنا، بل والتضحية بالنفس و أن كل الجهود المبذولة من أجل تعليمهم الدين المسيحي من قبل السلطات المسيحية باءت بالفشل، كذلك الوسائل التي اتبعتها محاكم التفتيش بحيث يرى بعض المسيحيين أنه لم تسجل حالة واحدة لتحول صادق إلى الدين المسيحي[61].وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة العقيدة الإسلامية التي تغلغلت في نفوسه، ولهذا لم يحيدوا عنها سبيلا.

---

[58] بدرولونغاس، المرجع السابق، ص 46.

[59] المرجع نفسه، ص 46.

[60] للاطلاع عليها أنظر: بدرولونغاس، المصدر السابق، ص 50.47.

[61] نفسه، ص 48.

لكن السؤال المهم كيف مارس الموريسكيين شعائرهم الدينية في ظل هذه الاضطهادات؟.

إن الغوص في أعماق حياة موريسكي الأندلس يكشف لنا عن حياة غنية بالصور التي تبين حرص تلك الطبقة على البقاء على دين سيدنا محمد ﷺ، ومن خلال الظروف الصعبة التي آلت إليها البلاد بعد سقوطها على يد الإسبان أصبح الموريسكي يعيش حياة التستر الكتمان تجنبا للطرد، وسنعرض في هذا العنصر الشعائر الإسلامية الأساسية التي ظل الموريسكيون يؤدونها في ظل الاضطهادات الإسبانية.

ينقل لنا المؤرخ لونغاس في كتابه" الحياة الدينية للموريسكيين " وصف مفصل لحياة الموريسكيين الدينية، بحيث قسم فصول الدراسة إلى ستة عشر فصل، عرض فيها أركان الإسلام الخمسة، ثم تحدث عن بعض الشعائر المتعلقة بالدين، خاصة تلك الشعائر التي كانت تؤدى عند الإنجاب والزواج والوفاة، ومن الملاحظ عليه أن الفصل المخصص للصلاة كبير جدا مقارنة بالفصول الأخرى، وذلك أن الجزء الأكبر من حياة الموريسكيين الدينية متعلق بالصلاة الواجبة أو التطوعية، فهناك صلوات مفروضة بصفة يومية وهناك صلوات تؤدى خلال العام في الأعياد. وسنبدأ بالركن الأول من أركان الإسلام ألا هو الشهادة؛ أي نطق الشهادتين، وهي الصيغة الأساسية التي تكفي للدخول في الإسلام، وهى "كلمات يرددونها للمسلم الذي يموت لكي يحصل على الجائزة ويريه الله ملك السماوات"[62]، أما الطهارة فقد كان الموريسكيون يميزون بين نوعين من الطهارة _ كبقية المسلمين _ الأولى تتمثل في غسل جميع أجزاء الجسم، والثانية تسمى الوضوء والتي تقتصر على غسل بعض الأجزاء[63]. وتذكر الكاتبة " مارثيدس أرينال أن الطهارة تحولت إلى هوية ثقافية بالنسبة للموريسكيين،(وفقا لرؤيتها)، فمن الواجب على المسلم المؤمن الطهارة قبل صلاة الفجر، كما كان الموريسكيون يغسلون أفواههم بعد كل طعام، وماء الطهارة المعتادة يجب أن يكون نظيفا خاليا من اللون والطعم والرائحة، كما يحرم تسخين الماء بواسطة الشمس[64].

---

[62] مرثيديس غارثيا أرينال، الموريسكيون الأندلسيون، المصدر السابق، ص 103.

[63] بدرولونغاس، المصدر السابق، ص 67.

[64] الاسباني أنطونيو دومينقير هورتز والفرنسي برنارد بنثنث، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون،" حياة ... ومأساة أقلية"، ترجمة: عبد العال صالح طه، تقديم وتنقيح: محمد محي الدين الأصفر، دار الإشراق للطباعة والنشر، ط1، قطر، 1408هـ_1988م، ص 115. للتوضيح أن تسخين الماء بالشمس للوضوء مكروه وليس محرم كما ذكر بعض الفقهاء.

ولكن علينا هنا أن ندرك أن الكاتبة مارثيدس أرينال، لا تعلم أن ما تسميه ثقافة ما هو سوى من صميم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ولكي يؤدى غسل الطهور كان الموريسكي يتجرد من ملابسه تماما، ثم يغسل يديه أولا ثم تنظيف ما اتسخ من الجسد كله، مبتدئا بالرأس حتى ينتهي عند القدمين، ثم يضع الإناء على اليمين ويذكر اسم الله ثم تدلك وتنظف جذور الشعر، ويصب الماء ثلاثة مرات على الرأس، ثم على جانب الجسم الأيمن ثلاثة مرات، ثم تكرر العملية على الجانب الأيسر، بعدها يصب الماء في النهاية على الجسد كله اقتداء بالنبي ﷺ[65] هذا بالنسبة للغسل.

أما الوضوء فهو عبارة عن غسل أجزاء مختلفة من الجسم مع قراءة أدعية معينة عند غسل كل عضو[66].

ولكن علينا أن ندرك أنه في ظل الاضطهادات النصرانية اضطر الموريسكي إلى تبسيط الشعائر إلى الحدود الدنيا واختزالها في الزمن حتى يغافلوا الرقابة المضروبة حولهم، ففي الوضوء كانوا يعتمدون طريقة الانغماس أي الغطس في الماء دون غسل مختلف الأعضاء الواجب غسلها في عملية الوضوء، فيلجؤون إلى ذلك خوفا أن يراهم أحد فيبلغ مخاكم التفتيش[67].وهذا طبيعي جائز في الإسلام، ويمارس حتى الآن.

وبالنسبة إلى كيفية محافظة الموريسكيين على أداء الصلوات الخمس وكذا صلاة الجمعة والعيدين في ظل المراقبة الشديدة لمحاكم التفتيش، نجد أنه بعد تخطي عقبة القداس والذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد نجد بالتحايل أن الموريسكيين قد حافظوا على صلواتهم ومارسوها بصيغ مختلفة، إما في إطار عائلي أو بشكل جماعي وراء إمام يختارونه من بينهم[68] ، مراعين في ذلك شرط حفظه للقرآن الكريم، وربما ظلت تؤدى إلى وقت متأخر من وجودهم في إسبانيا...حيث يمكن أداؤها سرا بدون أن يراهم النصارى، وكذلك فقد كانت كتب الصلاة يتداولونها بطريقة سرية، وكانوا يقرؤون الفاتحة كثيرا[69].

---

[65] مرثيديس غاريثا أرينال، المصدر السابق، ص 97.

[66] بدرولونغاس، المصدر السابق، ص 69.

[67] نفسة، ص 25.

[68] Fournetjaqueline: Les morisques Aragonais et linquisition de sarragosse (1540 -1620) montepellier 1980,p 132.

[69] أنطونيو دومينقير، تاريخ مسلمي الأندلس، المصدر السابق، ص 115.

وعلى كل كانت ممارسة الصلاة في البيت مع الأهل والأبناء تتم في سرية وبحذر شديد، فهي أقل خطرا من ممارستها جماعيا في أماكن خاصة كمساجد في المغارات أو في أقبية البيوت لأنها تجمع العشرات _ خاصة في صلاة الجمعة والعيدين _كثيرا ما كان محل شك السلطات المسيحية وبالتالي وجب عليهم الاحتياط أكثر، والتزام السرية التامة[70].

وكان الموريسكيون يعلمون أن الله قد وعد أن يدخل الجنة كل من أدى الصلاة الواجبة بشكل دائم ودقيق دون أن يترك ركنا من أركانها، وكانوا يعتقدون أن مصير من لا يؤدي هذا الواجب المقدس غير محدد، وذلك لعدم وجود وعد محدد بشأن هؤلاء (المقصرين)، فمصيرهم يتوقف على إرادة الله الذي يمكن أن يعاقبهم أو يدخلهم الجنة طبقا لحكمه الذي لا مرد له[71].

وحرص الموريسكيون على قدسية صلاة الجمعة، فكانوا يتوقفون عن كل نشاط تجاري في هذا اليوم، كما كانوا يرتدون الملابس النظيفة ويستحمون[72].

وقد سهلت فتاوى الفقهاء، خاصة الفتوى الشهيرة لمفتي وهران أحمد بن جمعة الوهراني التي أرسلها إلى الموريسكيين، بطلب منهم في عام 1503م، في تخفيف الضغط على الموريسكيين في أداء الصلوات والمحافظة على وقتها، فمثلا إذا تزامن وقت الصلاة مع وقت الذهاب إلى الكنيسة ولم يجد الموريسكي من حيلة للتأخر أو الامتناع عن دخول الكنيسة فإنه يعفى من أداء الصلاة، أو يضطر إلى أدائها ليلا بعد العودة من الكنيسة[73].وهذا جائز شرعا منعا لإزهاق الارواح.

وبالنسبة للآذان، فلما صدرت قرارات حظر منع الآذان، واضطر المورسكيين إلى التخلي عن الاحتفالات الرسمية، فقد كان هناك بديل عجيب للمؤذن ،كما يروي أحد موريسكي فالنسا أثناء محاكمته، ولقد تمثل ذلك في أنه كان يعيش شاب فرنسي مكلف بحماية المواشي، وكان هذا الشاب قد تحول إلى الإسلام، وكان موريسكيو القرية يحترمونه كثيرا لأنه من أهل دينهم، فوثقوا به تماما وتعاقدوا معه على أن يقوم في الساعات الأولى من

[70] هذه السرية لم تمنع الموريسكيين من إظهار تحديهم للمسيحيين بأدائهم الصلاة في السجن أمام أعين الجلادين وهم تحت التعذيب، أنظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، المرجع السابق، ص 189.

[71] بدرولونغاس، المصدر السابق، ص 81.

[72] JaqulineF: Les morisques , p 133.

[73] يحياوي جمال، المرجع السابق، ص 189.

شهر رمضان بنفخ البوق _بحجة أن يحملوا إليه المواشي التي يرعاها_ وأن يمر على بيوت الموريسكيين لإيقاظهم لكي يتناولوا السحور ويؤدوا صلاة الفجر وكان ذلك مقابل حصوله على عملتين أزيد من الأجر المتفق عليه[74]، من هذا نفهم أن الموريسكيين– مع بساطتهم_ كانوا يتحايلون للتهرب من تنفيذ الأوامر الملكية الخاصة بمنع إقامة شعائرهم كل ذلك دون التفريط في العبادة الدينية التي كانوا يؤدونها وفقا لظروفهم.

إن الحفاظ على الصلاة لم يمنع الموريسكيين من القيام بباقي أركان العبادة من صوم وحج، وما إلى ذلك من شعائر الدين الإسلامي، فطيلة التواجد الموريسكي بإسبانيا المسيحية وعلى امتداد أكثر من قرن من الزمان حافظ هؤلاء على صوم رمضان حتى أذنت ساعة الرحيل وصدر قرار الطرد النهائي، عام 1609م، ورغم شبكة الجواسيس التي كانت تحيط بهم فإنهم لم يتخلوا عن صوم شهر رمضان متحدين خطر اكتشاف أمرهم[75].

ويذكر الإسباني أنطونيو في مؤلفه تاريخ مسلمي الأندلس أن المورسكيين كانوا يهتمون في شهر رمضان أكثر بالصلاة والصيام، ويمسكون عن تناول الطعام خلال النهار، ثم يتناولون وجبة فقط أو ربما وجبتين منذ طلوع الشمس[76] حتى غروبها وهاتان الوجبتان كانتا عادة من الزيت والجبن[77].والناظر هنا يرى أن وجبتي الزيت والجبن دليلا على شظف العيش الذى كان يعانيه مسلمي الأندلس.

وقد اتبع الموريسكيون أساليب كثيرة لضمان عدم اكتشاف أمر صومهم، فغالبا ما كانوا يغادرون بيوتهم طيلة شهر رمضان لتجنب الأكل وحتى لا يتفطن المسيحيون لهم على أنهم صائمون، وفي المساء يحضرون فطروهم في غاية السرية[78]، كما كانوا يحرصون ، في هذا الشهر، على الابتعاد قدر الإمكان عن المسيحيين خاصة أثناء فترات الأكل، وأحيانا يتظاهرون أمامهم بأنهم أكلوا[79].

---

[74] بدرو، المصدر السابق، ص 84.

[75] يحياوي جمال، المرجع السابق، ص 190.

[76] الصيام يبدأ عند المسلمين من طلوع الفجر وليس من طلوع الشمس

[77] من الواضح جهل المؤلف بصيام المسلمين إذ لا أساس لما ذكره من الإفطار على الزيت والجبن من الصحة، ص 113.

[78] Barbara: Les morisques du Roaume de valence. Univ d'Alger, 1982, p 17 .

[79] Jaqueline.F op. cit: p 136.

وفيما يخص الصوم يذكر المؤرخ الإسباني كارديك أن صوم شهر رمضان استمر يتوارثه الأبناء عن الآباء وبحيطة أكبر وتظاهر متقن، فمثلا فرنسيسكو القرطبي Francisco de cordoba كان يصوم شهر رمضان كاملا ، وكان يواجه الدعوات التي تعرض عليه في هذا الشهر بحيلة وذكاء كبيرين، فإذا دعي إلى تناول الغداء فإنه يعتذر بحجة أنه فاقد الشهية وإذا دعي مرة أخرى يرد أنه تناول طعامه قبل ذلك في مكان آخر[80].والجدير بالذكر، أن معظم تهم محاكم التفتيش كانت فيما يخص الصوم، لاسيما شهر رمضان، وهذا ما أكده المؤرخ الإسباني كرديك.

أما أصعب الفروض بالنسبة لهم فهو الحج، لأنه فرض مشروط بالاستطاعة وتتم به زيارة الأماكن المقدسة في الحجاز، وبالنظر إلى الظروف الصعبة التي كان يعيشها الموريسكي لم تكن تسمح لهم بأداء فريضة الحج، فالانتقال من اسبانيا حتى الحجاز لم يكن في متناول الجميع، خاصة وأن المراقبة كانت شديدة على تحركات الموريسكيين، ومع هذا فقد وجد في أراقون مخطوط بعنوان: " قصائد رحلة حج مونثون Monsoon، رحلة إلى مكة في القرن السادس عشر"، حيث كتب قصيدة في هذا الشأن، وهذه بعض الأبيات منها:

لقد سافرت بفرح
بعيدا عن أهلي
للانتقال إلى أرض العرب
لإكمال فريضة الحج
وهي تغسل كل آثام
من يقوم بهذه الرحلة...[81].

وهذا يعني أن الحج، وإن كان نادرا بينهم، فإنه لم يكن مجهولا، ومن وجهة نظر دينية يبدو واضحا أن الموريسكيين لم يكونوا يختلفون تقريبا عن باقي المسلمين، كما أن هذا الموريسكي الحاج عبر عن فرحته أولا بأداء فريضة من فرائض الإسلام، ولإظهار منافع هذا السفر الإيماني لبني قومه الباقين في أرض غير أرض الإسلام.

[80] لوي كارديك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون _ المجابهة الجدلية المصدر السابق، ص 25.

[81] قصة حج هذا الموريسكي والقصيدة التي كتبتها نقلها Pano y Ruata Las Caplas Del perigrino de puez Monconviaja a la Meca en El siglo 16 Zaragoza. 1897. P 36 أنظر: لوي كارديك، المصدر السابق، ص. 33

بالإضافة إلى هذه الأركان التي حافظ عليها الموريسكيون فقد حافظوا ،حتى لحظة الطرد النهائي، على الأعياد الإسلامية، مثل العيد الصغير، وهو عيد الرحمة، والذى فيه تعطى الزكاة للفقراء، والعيد الكبير وهو عيد الأضحى وهذا العيد يطلق عليه الموريسكيون بعيد الفصح، وهو يخلد ذكرى تضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام، "وللاحتفال بالعيد يذبح الموريسكي خروفا على الطريقة الإسلامية، كما يصومون الأيام العشرة التي تسبق العيد"[82]، أما العيد الثالث فهو عاشوراء ويحتفل به بعد ثلاثين يوما من الاحتفال بعيد الأضحى وهو اليوم العاشر من شهر محرم، وهم يؤمنون بالأنبياء ومن ضمنهم المسيح[83].

كذلك بالنسبة للمناسبات التي يحتفل بها الموريسكيون دينيا كالزواج أو الولادات أو الدفن، فبسبب الظروف الصعبة التي كان يعيشها الموريسكي إعتاد منذ الولادة أن يعيش حياة التستر والكتمان، بل كانت كل تصرفاته وتحركاته هي مداراة، بحيث يبدأ في التخلص من التعميد[84]. إن هذا الصبى الذي أجبرته السياسة التسلطية للكنيسة الكاثوليكية على الذهاب إلى الكنيسة للتعميد مباشرة بعد ولادته، جعل عائلته تتخلص من آثار هذا التعميد الذي تراه منافيا لتعاليم الدين الإسلامي، بحيث يتم غسله بعد العودة من الكنيسة لإزالة آثار الصليب عنه[85]، ثم يطلق على الطفل اسما عربيا ينادى به وسط أهله إلى جانب الاسم المسيحي المسجل رسميا.

نخلص من هذا أن الموريسكيين كانوا محافظين على أسلوب التقية الذي يظهر في الاغتسال بعد العودة من التعميد، وإعطاء الاسم المسلم كاسم ثان وسط الأهل فقط . وقد ذكر المؤرخون[86] أن أطفالا موريسكيين عمدوا عشرات المرات مكان عشرات المواليد الجدد، إضافة إلى عملية الختان التي حافظت عليها الأسر الموريسكية رغم خطر اكتشافها من طرف محاكم التفتيش.

---

[82] مرثيديس أرينال، الموريسكيون الأندلسيون، المصدر السابق، ص 100.

[83] لوي كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون، ص 34.

[84] من الإجراءات المتخذة ضد الموريسكيين ضرورة تعميد الأطفال عند ولادتهم، ومن يخالف هذا الأمر يتعرض إلى عقوبات شديدة، جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، ص 196.

[85] المرجع نفسه، ص 196.

[86] هناك حالات كثيرة لمثل هذا العمل ذكرها بعض المؤرخون أمثال كارديالك لوي، مارمول كرابخال، لونغاس بدرو، وغيرهم من المؤرخين.

أما الزواج كان يتم وفق التقاليد الإسلامية في مراحله الأولى من الخطبة والفاتحة، بحيث يتطلب حضور أهل العريسين بطريقة لا تثير الشك، وعندما يحين وقت الزفاف يتحتم على العريسين الذهاب إلى الكنيسة لعقد القران وفق تعاليم الكنيسة أمام القسيس، لذا أصبح على الموريسكي بعد عودته من الكنيسة ضرورة عقد القران ثانية على الطريقة الإسلامية، كما حافظ الموريسكيون على وظيفة القاضي[87]. حيث كان يمثل الصورة الحسنة للمسلم ومهمته الفتوى وفق المذهب المالكي[88]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ان المجتمع الموريسكى المسلم كان ينشد العدالة على الطريقة الإسلامية.

كانت جهود الموريسكيين منصبة نحو الحفاظ على هويتهم الإسلامية وذلك بممارسة شعائرهم الإسلامية سرا داخل المجتمع النصراني، فهم ومنذ أن فرض عليهم التنصير سنة 1502م وحتى طردهم سنة 1609م فكانوا يصلون ويصومون في الخفاء، ويدل ذلك على تعقب محاكم التفتيش لهم والقضايا والشهادات المدلى بها ضد من اتهم بممارسة تلك الشعائر الإسلامية.

[87] وهو المشرف على عملية الزواج وفق الطريقة الإسلامية، وكانوا يسمون Les alcadis وهم رجال القانون المسلمين حسب تعبير ليفي بروفينسال.Levi provensel: Hist. De L'Espagne Musulmane t: 3, p 122

[88]Ibid: p 123.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية يمكننا استنتاج النتائج الآتية:

أولا: أصبحت حياة الموريسكيين في إسبانيا مجالا لكل أنواع الظلم والإرهاب الفكري والجسدي والنفسي والديني، حيث تغيرت حياة هذه الفئة المسلمة بعد سقوط آخر ممالك الإسلام في إسبانيا، وكيف تغير بهم الحال بعد أن كانوا هم الفئة الغالبة في ظل دولة الإسلام في الأندلس، إلى أن أصبحوا بالتدريج فئة مهدر حقها، وأقلية ليس لها حقوق تحت مظلة الحكم الكاثوليكي الإسباني.

ثانيا: كان الظلم الأكبر الذين تعرضوا له هو إجبارهم عن التخلي عن دينهم الإسلامي، حيث أقيمت محاكم التفتيش من أجل هذا، فقد ذاقوا من قساوسة تلك المحاكم الظالمة أشد وأقسى صنوف وأنواع العذاب التي لا يتحملها بشر.

ثالثا: كان المسيحيون يعتبرون الموريسكيين "مسيحيين غير متدينين" بينما كانوا هم يعتبرون أنفسهم مسلمين بقلوبهم لا يربطهم بالعقيدة المسيحية إلا الشكل الخارجي، بحيث كانوا يفعلون ذلك لكي يستطيعوا الحياة في ذلك المجتمع الذي يضطهد المسيحيين غير المتدينين، ولا يسمح بوجود غير مسيحيين.

رابعا: من وجهة النظر الإسلامية فإن الموريسكي كان مسلما قويا متمسكا بعقيدته رغم ما تعرض له من أذى في كل ما يملك، بحيث استطاع الحفاظ على عقيدته الإسلامية ومساجده وقضاته لمدة أكثر من ثلاثة قرون... إنه صراع من أجل البقاء على دين الأجداد قدر الإمكان.

خامسا: رغم أن حياة الموريسكيين الدينية لم تكن تختلف جوهريا على حياة بقية المسلمين، إلا أنها كانت تختلف من حيث أن الموريسكيين كانوا يحذفون شيئا من شعائر العبادة الإسلامية بسبب الرقابة التي فرضتها عليهم السلطات الإسبانية والخوف من كشفهم وتقديمهم إلى محاكم التفتيش، وهذا ليس دليلا ضد شعورهم الديني المستفيض بل يؤكد عمق وأصالة الإسلام بينهم.

قائمة المصادر والمراجع

حمادي عبد الله، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616)، الجزائر، 1989م.

عنان عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، القاهرة، 1949م.

حسين مؤنس، " أسنى المتاجر في من غلب عن دينه من النصارى ولم يهاجر" مقال حول فتوى الونشريسي، صحيفة بمعهد الدراسات الإسلامية، العدد 1 و2، مدريد.

جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، دار هومة، الجزائر، 2004م.

مرثيديس غارثيا أرينال، الموريسكيون الأندلسيون، ترجمة وتقديم: جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003م.

جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د ت.

محمد قشتيليو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، منتديات أهل الحديث في تطوان، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1422هـ/2001م.

مارمول كرابخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة: وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمان، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

بدرولونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، تعريب د جمال عبد الرحمان، تقديم ومراجعة: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، سيرمدي، زغوان، ج التونسية، جويلية 1993م.

مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

حتاملة محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليين، الأردن، د ت.

لوي كارديناك، الموريسكيون الأندلسيون، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

العروسي الميزوري،" مراحل التنصير والقمع التفتيشي في الطفل الموريسكي و أزمة الهوية" ، أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية .العائلة الموريسكية النساء والأطفال .عبد الجليل التميمي، 2002م.

المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ترجمة: عباس راجان، دار صادر، بيروت، 1968م.

أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492.1792)، ط2، بيروت، 1979.

محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس، ط1، الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

علي مظهر، محاكم التفتيش الإسبانية(1489م .1516)، د ط، د ت.

محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة.

جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

جانمونيك القلي،" تنصير الموريسكيين أو أسباب الفشل"، تعريب عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول" مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، زغوان، سيرمدي، 1990.

هارفي ليونارد باتريك، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، ج1، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

مارمول كرابخال، وقائع ثورة الموريسكيين، ج1، ترجمة وسام محمد جزر، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمان، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

لوي كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون -المجابهة الجدلية- (1492.1640م)، تقديم وتعريب عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس. الجزائر، 1983م، ط1.

عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ الموريسكي الأندلسي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1993م.

شهرزاد مراد، جامعة الجزائر، " تربية الموريسكيين الدينية من خلال الكتابات الألخمیادية"، نقله عن الفرنسية د. عبد الجليل التميمي، من كتاب "مهن الموريسكيين والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1990م.

عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، القاهرة، 1949م.

رجاء ياسين بحرى، " الممارسات الدينية للموريسكيين من خلال ملفات محاكم التحقيق لقضية فكتوريا فلومينا (1563. 1567)، نقله عن الفرنسية: عبد الجليل التميمي في كتابه مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية.

الإسباني أنطونيو دومينقير هورتز والفرنسي برنارد بنثنث، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون،" حياة ... ومأساة أقلية"، ترجمة: عبد العال صالح طه، تقديم وتنقيح: محمد محي الدين الأصفر، دار الإشراق للطباعة والنشر، ط1، قطر، 1408هـ_1988م.

Barbara: Les morisques du Roaume de valence. Univ d'Alger, 1982

Diccionario de historia de Espana. Madrid.1970

Dominguezortiz: Los CristianosNuevosBoletin de la universided de grenada 1949

Fournetjaqueline: Les morisques Aragonais et linquisition de sarragosse (1540 -1620) montepellier 1980

Mercedes Garcia Arenal: Los Moriscos y la inquisition /procesos del.tribunal de cuenca-Madrid.1970

Pano y Ruata. Las Caplas Del perigrino de puez Monconviaja a la Meca en El siglo 16 Zaragoza. 1897